

((أرنولد توينبي وصلته بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية))

١٨٨٩-١٩٧٥م

م.د. محمود صالح سعيد
قسم التاريخ
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/١٠/٢ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/١٢/١

ملخص البحث:

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية تقول أن المؤرخ الغربي أيّا كان انتمائه ومهما بلغ به المستوى العلمي والمعرفي من رقي فهو يعبر عن بيئته، ويمثّل خصائص حضارته ، وتنطبق هذه الفرضية انطباقاً جلياً على المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي الذي هو احد أبناء الحضارة الغربية، وهو أيضا ابن المؤسسة الاستعمارية البريطانية ، التي خدم فيها سنوات طويلة من حياته ، وقدم خدمات جليلة لها تمثل بالإشراف على الحوليات الخاصة بالشؤون الدولية، وتقديم دراسات وبحوث أسهمت في تعميق المعرفة الدولية لديها ، كما انه قدم منظورا حضاريا في تفسير التاريخ يعد بحق واحداً من ابرز التنظيرات المتعلقة بفلسفة التاريخ، وبالتالي رسم العلاقة بين مجتمعه الغربي وبقية المجتمعات، لاسيما المجتمع الإسلامي.

إن هذا البحث يحاول أن يجيب على سؤال رئيس ومهم وهو: ما هي صلة المؤرخ أرنولد توينبي بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية ؟ وكيف أثّرت هذه الصلة على نتائج الأبحاث التي قام بها، ولا سيما منظوره في فلسفة التاريخ ؟ وكيف نظر إلى المجتمع الإسلامي وعلاقته بالحضارة الغربية ؟ وأخيراً كيف نظر أرنولد توينبي إلى العالم الإسلامي، الذي يشكل التحدي الأول للحضارة الغربية؟ وبالتالي نصل إلى السؤال الأكثر جوهرية وهو، هل إن آراءه في التاريخ والسياسة والحضارة تأثرت بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية أم العكس؟

Arnold Toynbee and his relation with the Britain imperialism institution 1889-1975

Lect. Dr. Mahmood Saleh Saeed
History Dept.
College of Arts / Mosul University

Abstract:

This research starts off from the basic supposition which states that the western historian presents his environment and his own civilization features whatever advanced his belonging and his scientific knowledge was. This theory applies clearly on the Britain historian prof. Arnold Toynbee as a citizen of the western civilization, the son of the Britain imperialism institution also; he served there many long years of his life and he made important tasks there like: supervising the international affairs survey, presenting studies and researches helped in developing the international knowledge in it. He presented the relationship between his western society and other societies, especially the Islamic one which was the most threatening to his western civilization. He viewed the Islamic world from two points; first the matter of Westernization, second the unity of Pan – Islamic world.

المقدمة:

يعد المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي واحداً من ابرز المؤرخين الغربيين المعاصرين، الذي كان له شهرة واسعة في العالم، من خلال آرائه وأبحاثه وكتاباته، فضلاً عن تقلده المناصب الإدارية والأكاديمية المهمة في بريطانيا التي وضعته في مصافي المؤرخين البارزين في العالم.

ينطلق هذا البحث من قناعة ترى أن المؤرخ أرنولد توينبي واحد من ابرز الشخصيات البريطانية التي قدّمت آراءً جريئةً ومهمةً في التاريخ العالمي بشكل عام وتاريخ العالم الإسلامي بشكل خاص، ورغم التباين الظاهر في مواقف هذا الرجل مع المؤسسة الاستعمارية البريطانية التي لا يمكن أن ينكرها احد، إلا أن المدقق في خفايا نصوصه يجد ثمة تقارب واضح في الأفكار والتي أجدها داعمة لتوجهات المؤسسة الاستعمارية البريطانية وتعمل في خدمتها، لذلك سيركز البحث على إبراز الخطوط العريضة والأساسية لفكر أرنولد توينبي، ومن ثم إبراز العلاقة الفكرية التي تربطه بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية على ضوء ما كتبه وصرّح به من شهادات وآراء وتحليلات تخص العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي.

إن ما يتميز به المؤرخ توينبي قدرته على انتقاء أحداث التاريخ في تدعيم فلسفته ورؤيته، فهو عندما يتحدث عن العالم الإسلامي وتاريخه لا يتحدث كغيره من المستشرقين بل نراه ينتقي بعض الأمثلة والروايات التي تدعم نظريته ، لذلك سنركز في بحثنا على تناول الكيفية التي انتقى بها آراءه وكيف أسهمت هذه الآراء في تدعيم توجهات المؤسسة الاستعمارية البريطانية من خلال ما يوفره من جهد فكري يساهم في تبرير الغزوات الاستعمارية للبلاد الإسلامية.

لا شك أن أفكار توينبي ليست كلها موضع رضا وقبول وهذا أمر طبيعي إزاء مفكر ولد وعاش في بيئة غربية وفي مناخ أوربي ، فقد كانت بلاده تعد من اكبر الدول الاستعمارية في العالم وكان نفسه ينتمي إلى أسرة من الطبقة الوسطى التي لها تقاليدھا وصلتها بالمؤسسة الاستعمارية لذلك من الطبيعي أن نجد في آرائه ما يعطي للمرء قناعة بصلتها بتلك المؤسسة. لن يكرس هذا البحث وقتاً للوقوف على إجابيات موقف توينبي من القضايا العربية والإسلامية لاسيما مسألتی فلسطين والوحدة العربية والعلاقة مع الصهيونية فهي قد أخذت حيزاً ليس بالقليل في كتابات المؤلفين العرب والعراقيين بل سنحلل السطور التي كتبها والتي أجدها تخدم توجهات المؤسسة الاستعمارية الغربية التي تشكل بريطانيا رأس الحربة فيها.

المبحث الأول

عصر أرنولد توينبي وفلسفته أولاً/ حياته ومسيرته العلمية:

أرنولد . ج . توينبي Arnold. G. Toynbee مؤرخ ذو منظور فلسفي بريطاني. ولد في لندن في ١٤ نيسان/ ابريل عام ١٨٨٩م من أسرة تعد من صفوة الطبقة الوسطى المعروفة بمكانتها الثقافية في المجتمع البريطاني^(١)، كان والده يعمل موظفاً في إحدى الشركات ، وأمه تخرجت من قسم التاريخ في جامعة كامبردج Cambridge^(٢)، وجدّه كان جراحاً مشهوراً وعضواً في الجمعية الملكية البريطانية، وعمّه كان مؤرخاً اقتصادياً ومصلحاً اجتماعياً^(٣). عرفت أسرة توينبي بتدينها، وقد أثر ذلك بشكل كبير على آرائه في التاريخ إذ تعتق أسرته المذهب البروتستانتي^(٤).

أكمل توينبي دراسته الابتدائية والثانوية في لندن، وتزوج من روزالندا Roselenda عام ١٩١٣م، ابنة استاذہ المتخصص في الدراسات الكلاسيكية (اليونانية - الرومانية) جلبرت موراي Gilbert murray ، انجبت له ولدين. وفي عام ١٩٤٦م انفصل عنها واقترب بعدها بابنة قسيس تدعى فيرونیکا Veronica^(٥). ومع هذا فإن القليل من المصادر تتناول حياته الشخصية في حين اشار بعضها إلى عدم وجود دراسات معمقة عن حياته ، ولكن هناك العديد من الدراسات التي تتناول أفكاره^(٦).

قدّمت إلى توينبي العديد من العروض منها ان يكون كاهناً أو بحاراً كعمّه الآخر ولكن رأيه استقر أخيراً على التخصص في علم التاريخ الذي برز ميله نحوه منذ طفولته، فقرر الالتحاق بجامعة أكسفورد ، فقد درس الأدب الكلاسيكي (اليوناني واللاتيني) وكان تخصصه الأول في تاريخ اليونان والرومان القديم فكان لها تأثير بالغ عليه فيما بعد في تشكيل رؤيته الفلسفية لاسيما من خلال تركيزه على أهمية الحضارة الهيلينية ودورها في التاريخ وعدّها مصدراً أولياً للحضارة الغربية المعاصرة^(٧).

تعد جامعة أكسفورد Oxford university من أعرق الجامعات العالمية في مجال الدراسات الإنسانية ، وعندما بدأ أرنولد توينبي حياته العلمية فيها عام ١٩٠٨م، بدخوله كلية باليول Baliol College، وهي إحدى كليات أكسفورد ، كانت الدراسات التاريخية تمر في ذلك الوقت بمرحلة من الازدهار على يد مؤرخين بارزين كان لهم دور كبير في تنشيط الدراسات التاريخية وتوجيهها وضمت مستشرقين بارزين من أمثال مرغوليوث Margoluth وهاملتون جب H. Gibb ، الا ان الاهتمام الاكبر في أكسفورد انصب على دراسة الحضارة الاغريقية القديمة وتقدير مثلها العليا في الديمقراطية والفردية ، وكانت كلية باليول وقتها تعد من اكبر مراكز الدراسات والبحوث الخاصة بالحضارة الإغريقية وخاصة عندما كان توينبي طالباً فيها . كان عميدها جويت Juitte وهو من أعظم مترجمي الفيلسوف اليوناني افلاطون Plato إلى اللغة الانكليزية وكان من طلبتها جلبرت موري G. Mury وزمر من Zemarman وريتشارد لفنجستون R. Lefgenston وكل واحد من هؤلاء اصبح علماً في دراسة الحضارة الإغريقية والتي تأثر بهم توينبي اشد التأثير وهو يدرس الحضارة الإغريقية القديمة على أيديهم^(٨).

تعلم توينبي اللغة اليونانية واللاتينية ، كما تعلم الفرنسية والايطالية والالمانية واليونانية الحديثة^(٩)، الا انه لم يتعلم العربية او التركية او الفارسية التي تعد ضرورية لكل من يروم دراسة الحضارة العربية والاسلامية او حضارة الشرق الأوسط، وهذا يدل على أن رؤية توينبي للمنطقة العربية والاسلامية قد استمدتها من مصادر توراتية واستشرافية أكثر من اطلاعه المباشر عليها.

أصبح توينبي بعد تخرجه من كلية باليول عام ١٩١٢م زميلاً فيها وبقي حتى عام ١٩١٥م، ومن المعروف أن أكسفورد ترتبط بصلة وثيقة بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية في ذلك الوقت فبحسب ما يذكر بنفسه ان كليته كانت قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) ، من عاداتها استدعاء الطلبة امام السلطات في الكلية بعد انتهاء دراستهم في السنة الأولى، فيتم سؤالهم عن العمل الذي يرومون القيام به بعد تخرجهم من الجامعة فيقول توينبي: "اما أولئك الذين لم يكونوا يعرفون ، فكانوا عادة ما يدرجون ضمن من سينخرطون

في السلك الوظيفي في الهند ، اعني سلك الموظفين البريطانيين في الهند اذا كان لديهم من الكفاءة ما يسمح لهم بذلك " ويضيف قائلاً: " كنا نعلم اننا نستطيع تعيينهم في سلك الوظائف في الهند وهو سلك كان له مركز مميز جداً وكان يضي على حياة المشتغلين فيه كثيراً من الاستقرار" (١٠) فكان مجرد الانخراط في كلية باليول في اكسفورد يعني ضمان وظيفة مرموقة في خدمة وزارة المستعمرات البريطانية مما يعني الترابط الوثيق الذي يصل بين المؤسسة الثقافية والعلمية البريطانية وبين المؤسسة الاستعمارية ، لذلك لا نعجب ان تكون صلة توينبي بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية وثيقة إلى درجة خدمته في كلية من مهمتها تزويد وزارة المستعمرات البريطانية بالموظفين اللازمين لأداء الخدمة في اهم واخطر بقعة استعمرتها بريطانيا والتي يطلق عليها "الدرة في تاج المستعمرات البريطانية" . لذلك فإن مهمة توينبي لم تقتصر على تدريس التاريخ والقاء المحاضرات بل المساهمة في تزويد المؤسسة الاستعمارية البريطانية بالكفاءات وإعدادهم إعداداً لازماً لدورهم المستقبلي.

من جهة ثانية شارك أرنولد توينبي في الحرب العالمية الأولى والتحق بدائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية ، فدخل بذلك اهم وزارة تعمل في خدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية ، والمصادر التي بين أيدينا لا تتحدث عن المكان الذي خدم فيه إلا أن ثمة روايات تتحدث عن قيامه بتدوين بعض الفضائع التي ارتكبت خلال الحرب ، وقد اشترك في مؤتمر الصلح الذي عُقد في باريس عام ١٩١٩م (١١) والمثير في الأمر انه اشترك بصفة عضو ضمن الوفد البريطاني في قسم (الشرق الأوسط)، والذي يضم بعض البلاد العربية، التي كانت تابعة للدولة العثمانية، (١٢) بحجة ان تخصصه قريب من المنطقة ، فكان هذا يمثل أول احتكاك عملي بالعالم العربي والإسلامي الذي سيكون له مواقف كبيرة ومثيرة منها.

زادت رؤية أرنولد توينبي اتساعاً للعالم الإسلامي بعد عام ١٩١٩م عندما عين استاذاً للتاريخ البيزنطي واللغة اليونانية الحديثة في جامعة لندن، ولا شك ان التاريخ البيزنطي يرتبط بشكل وثيق بالتاريخ الاسلامي لذلك تعمقت رؤية توينبي للعالم العربي والإسلامي ولكفائته اصبح مديراً للمعهد الملكي البريطاني للشؤون الخارجية عام ١٩٢٥م واستمر في عمله هذا لحين تقاعده عام ١٩٥٥م (١٣). واثناء ذلك أدار قسم الابحاث في وزارة الخارجية البريطانية للمدة ما بين ١٩٤٣- ١٩٤٦م، وقبل ان يدير المعهد الملكي البريطاني أشرف منذ عام ١٩٢٠م على تحرير حولية للشؤون الدولية Survey of International affairs وهي عبارة عن سلسلة من الكتب السنوية تتناول التاريخ الدولي، وتهدف هذه الحولية إلى تقديم معلومات وبيانات دقيقة عن احوال العالم للمسؤولين في الحكومة البريطانية تشتمل على كافة البيانات

التي تريدها، ونتيجة لتلك الجهود فقد استدعته الخارجية البريطانية لتمثيلها في مؤتمر الصلح في باريس بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) (١٤).

ومن الطبيعي ان تتاح الفرصة لتوينبي من خلال إشرافه على الحولية الدولية والمناصب الإدارية الحساسة التي تقلدها ان يقوم بكتابة سلسلة من المحاضرات عن المشرق العربي (١٥) تصب في ذات الاتجاه المرسوم للسياسة البريطانية لا سيما وان بريطانيا تمتلك مصالح في غاية الاهمية في هذه المنطقة لذا تأتي محاضراته كدليل على الأهمية الإستراتيجية التي تلعبها هذه المنطقة في ما يخص مكانتها لدى الدول العظمى.

لم يكتف ارنولد توينبي بالكتابة عن العالم العربي والإسلامي بل قام بالعديد من الأسفار والزيارات التي شملت العديد من الاقطار العربية فزار العراق ومصر والسودان وليبيا والمغرب، في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، وهناك ألقى المحاضرات وبين وجهه نظره حول القضايا المعاصرة التي تهم العالم العربي والإسلامي لاسيما قضية الوحدة العربية وفلسطين وتاريخ العالم الحديث واسلوب الحياة الغربية . وقد كان لكتابه "دراسة في التاريخ" اثر واضح في تنامي شهرته وذياع صيته على الساحة الفكرية والثقافية العالمية بعدما لعب دوراً مهماً على الساحة السياسية الخارجية (١٦).

شهد ارنولد توينبي عصراً متفجراً من الافكار والفلسفات الوضعية تصارعت فيما بينها فكانت هناك الوجودية والقومية والشيوعية والاشتراكية إلى جانب الفلسفة الليبرالية الغربية التي بقي يدافع عنها طيلة حياته . لقد وجد بلاده تتعرض للدمار والخراب نتيجة الحروب الكارثية التي اوقعت نفسها بها بسبب من أطماعها الخارجية فحاول تقديم إجابات جوهرية عن اسئلة قد تسهم في رسم معالم سياسة خارجية جديدة وسط امواج عاتية تواجهها بلاده انذاك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز ما يعرف بحقبة الحرب الباردة Cold war بين المعسكرين الليبرالي الذي تقوده الولايات المتحدة الاميركية والاشتراكي الذي كان يقوده الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ، لذا حاول توينبي ان ينحو منحاً فلسفياً في دفاعه عن الليبرالية والفردية معبراً بذلك عن طبيعة صلتته بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية.

ثانياً / مؤلفاته وفلسفته :

تقتضي الحاجة المعرفية التعرف على مؤلفات ارنولد توينبي الرئيسة حتى يستفيد القارئ كثيراً في فهم المنطلقات الفكرية والمواقف السياسية التي سيتخذها في تحليلاته وآرائه لاسيما تجاه العالم العربي. وسيكتفي البحث بتقديم الاطار العام لفلسفة توينبي التاريخية وابرز الاتجاهات التي تناولتها تلك المؤلفات.

ركزت مؤلفات ارنولد توينبي على ثلاثة اتجاهات رئيسة :

الاتجاه الاول: قدّم فيه دراسات تناولت التاريخ من زاوية السرد التاريخي للأحداث ، ويرجع ذلك إلى تعليمه الاكاديمي ودراسته لتاريخ الحضارة اليونانية والرومانية من تلك المؤلفات على سبيل المثال : "الفكر التاريخي عند الاغريق" Greek Historical thought الصادر عام ١٩٢٤م^(٨). وبدون شك فنان لهذا البعد اهمية خاصة في تشكيل رؤيته وفلسفته للتاريخ اذ نلاحظ تخصيص مساحات كبيرة من كتاباته في تقديم ومدح الحضارة الاغريقية القديمة والتركيز الالهم على اثينا ودورها في الحضارة بوصفها النموذج الحضاري الديمقراطي الذي سعت إلى نشره في العالم الغربي حتى ان توينبي يبلغ به الامر في مدحه للحضارة الاغريقية الاثينية بشكل خاص انه يفضلها حتى على تاريخ بلاده والسبب يرجع بحسب رأيه إلى قدرة تلك الحضارة على توحيد العالم الأوربي ثقافياً كما هو الحال بالنسبة إلى روما التي وحدت اوربا سياسياً وسبب تفضيله لهذه الحقبة لانه يجد فيها نوعاً من التعاصر الفلسفي بين الحضارة اليونانية والرومانية من جهة والحضارة الغربية من جهة اخرى^(٩)، لذلك لا نستغرب كثيراً إعجابه الكبير بالحضارة الإغريقية القديمة بوصفها اصل الحضارة الغربية وامها الشرعية.

الاتجاه الثاني: تناول فيها دراسات حول أحداث معاصرة عاشها وشاهدها وكان له دور فيها وذلك بحكم وظيفته التي شغلها وقد ذكر خلالها تفاصيل عن أحداث لم تخل من بعد تأملي وفلسفي مما يعني طغيان الناحية التأملية على اغلب دراساته وبحوثه . ومن تلك الدراسات : "شخصيات عرفتها " عام ١٩٦٧م و " تجاربي " Experiences عام ١٩٦٧م.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الأبرز في مؤلفاته وهو فلسفة التاريخ ، فقد ادى قلقه المحفّز على الحضارة الغربية نتيجة الكوارث والحروب التي شاركت بها بلاده وما قرأه عنها ان يحاول تقديم رؤية شاملة حول صعود الدول وانحلالها وهو يجد في الحضارات الميدان الطبيعي للدراسة وليس الدولة ولذلك حاول مراقبة نشوء الحضارات ونموها ومراقبة تدهورها وانحلالها واسباب ذلك ومحاولة إبعاد خطر الانحلال عن جسد الحضارة الغربية للوقاية منه ولعل ابرز مؤلفاته التي تدور حول هذه الموضوعات كتابه الشهير دراسة في التاريخ Study of history المؤلف من اثنا عشر مجلداً والذي بدأ في تأليفه منذ عام ١٩٣٠ وانتهى منه عام ١٩٦١م.

فضلاً عن انه لم يبخل بفكره وآرائه على الصحف البريطانية مما يجعلنا نعتقد بصورة جازمة انه لم يكن من طراز الكتاب الذين يجلسون في ابراجهم العاجية ويؤلفون الكتب والدراسات الأكاديمية فقط ، فقد كان يدرك أهمية الدور الذي تقوم به الصحافة في عالم اليوم فكان يتخير الصحيفة التي يجد فيها الفرصة لنشر افكاره وكانت صحيفة الاوبزرفر الاسبوعية Sunday Observer اكثر الصحف التي نشر فيها مقالاته طيلة عشرين عاماً ولم يكن ليكل او يمل حتى عندما تقدم به العمر فقد كان يأتي إلى دار الصحيفة بنفسه ويقدم لها ما كتبه وما

سجله من ملاحظات ومقالات عن التاريخ القديم والتاريخ الحديث^(٢٠) كل ذلك يعكس لنا الشغف الذي تمتع به توينبي وهو في آخر أيامه يحاول ان يبين ويكشف للحضارة الغربية نتيجة تجاربه وآرائه في الحياة والتاريخ والمصير .

قامت فلسفة توينبي للتاريخ على مجموعة من المبادئ والنظرات التي ضمّنها كتابه الاساس : دراسة في التاريخ ، ولعل ابرزها:

- **التحدي والاستجابة: (Challenge and Response)**، وملخصها ان نشوء أية

حضارة في العالم انما كان نتيجة استجابة الانسان لتحدي غير معجز وليس سهلاً بل وسطاً ذهبياً يستثير عند الانسان اقصى الطاقات ليصل إلى ميلاد الحضارة ، وهذا التحدي الذي يتفاعل معه الانسان يتخذ شكلين طبيعيين وبشري^(٢١).

- **التعاصر الحضاري: (Civilizational Contemporary)**، وفيه يرى أن جميع

الحضارات التي ظهرت في العالم يعاصر بعضها بعضاً خاصة اذا ما قورن بكشوف العلوم الطبيعية الغربية الحديثة وعمر المجموعة الشمسية فإن الستة آلاف سنة الاخيرة من ظهور النوع الانساني تعد فترة قصيرة نسبياً، لذا فإن الحضارة الاغريقية التي ظهرت في الالف الثاني قبل الميلاد والحضارة المصرية القديمة التي ظهرت في الالف الرابع قبل الميلاد والحضارة الغربية التي ظهرت في الألف الأول الميلادي هي معاصرة لبعضها البعض من ناحية نشوء العقل الفلسفي النقدي^(٢٢).

- **الاعتكاف العودة:** يعتقد توينبي ان أي عمل خلاق يقوم به الانسان أو المجتمع يتصف

بحركة مزدوجة من الاعتكاف Withdrawal والعودة Return، الاول يحقق الصفاء الذاتي ومحاولة استلهاهم الحق والثاني حركة فاعلة في التاريخ^(٢٣).

- **الاقلية المبدعة:** أسند اليها وحدها الدور الاكبر في عملية الاستجابة للتحديات التي

تواجهها حضارة ما ، ويرجح كثير من الباحثين أن نشأة هذا المفهوم كان بتاثير المؤرخ الانكليزي توماس كارليل Thomas Carlail الذي آمن بدور البطل في صناعة التاريخ وأن ما انجزه الانسان عبر التاريخ هو في اساسه تاريخ العظماء ، ويضيف توينبي على ذلك أنه عندما تعجز الاقلية المبدعة عن تقديم الحلول الصحيحة للمشكلات التي تواجه المجتمع يكون ذلك سبباً في سقوطها وانحلالها^(٢٤).

ويبدو جلياً ان جوهر فلسفة توينبي للتاريخ البحث عن مصير الحضارة الغربية التي شهدت خلال اقل من نصف قرن حربين عالميتين كارثيتين على الحضارة الغربية لذلك سعى إلى بث الروح فيها بعد ان تنبأ لها الفيلسوف الالماني اسوالد شبنجلر Oswald Spengler (١٨٨٠- ١٩٣٦م) بالاقل^(٢٥). وان كان توينبي يقدر آراء شبنجلر إلى انه يجد ان ثمة امل يمكن ان يعيد الحياة اليها ووجد في مبدأ "الانسانية" Humanity فرصة للتعاون لابقاء

الحضارة الغربية على قيد الحياة فيأخذ من كل مجتمع وحضارة ما يناسب قيم الحضارة الغربية من اجل ديمومتها، وهذه أولى أفكار العولمة Globalization ، وهذا يتطابق مع رأي الباحث الأمريكي هـ. أ. بارنس H.I. Barrens حين يقول: "إن تعاليم توينبي ليست نتيجة بحث علمي خالص وإنما تدخل فيها تعاليمه الدينية أيضاً" (٢٦) وتوينبي نفسه لا ينفي ذلك إذ يُقر ان عقيدته هي التي تتولى إرشاده وتوجيهه وان احياء الحضارة الغربية يتوقف في بعض الاحيان على إحياء الإيمان المسيحي (٢٧).

يعتقد توينبي ان هناك فئتين من المجتمعات: بدائية وحضارية. وقد أحصى من الفئة الاولى ستمائة وخمسين مجتمعاً بدائياً ومن الفئة الثانية حوالي ست وعشرون حضارة قسمها إلى حضارة اصلية ليس لها جذور او صلة بحضارة سابقة وحضارة فرعية لها جذر بما سبقها وهو يرى في الحضارة الغربية المعاصرة صلة بالحضارة اليونانية والرومانية ويعدها حضارة فرعية ترتبط بالحضارة اليونانية والرومانية برابطة البنوة اما الحضارة الاصلية فيعد الحضارة الاسلامية من الحضارات الاصلية التي لا ترتبط بأي جذر وفي احسن الاحوال يعدها ممثلة او آخذة مكان الحضارة الفارسية القديمة في محاولة لقطع اي صلة تربط الاسلام ببيئته وكأنه شيء طارئ لا صلة له او جذر، لذلك نلاحظ تأكيده الدائم على مسألة عدّ الانتماء إلى الحضارة أمراً روحياً أكثر منه جغرافياً (٢٨). من جانب آخر يرى ان الحضارة الاسلامية تتألف من اتحاد المجتمعين العربي والإيراني وهما يرجعان بالبنوة إلى الحضارة السريانية القديمة (٢٩). وهذا يتناقض مع ما ذكره في البداية من التأكيد على عد الحضارة الاسلامية حضارة اصيلة .

ويصل في نهاية فلسفته للتاريخ إلى تقرير حقيقة لا يمكنه تجاهلها وهي أن مصير الحضارات سيكون بقاء حضارة واحدة هي الحضارة الغربية التي يحاول ان يجد العلاج لابقائها على قيد الحياة من خلال الديانات الاربعة الرئيسة في العالم وهي : النصرانية والاسلام والبوذية والهندوسية (٣٠) وقد سعى توينبي إلى توظيف قيم ومبادئ هذه الديانات بما يخدم قيم ومبادئ الحضارة الغربية ويتعامل معها على اساس مدى انسجامها ومواءمتها مع قيم ومبادئ الحضارة الغربية . ليصل إلى نتيجة مفادها ان مستقبل العالم ومصيره مرتبط باحدى نتيجتين: الاولى حرب ذرية ماحقة وذلك نتيجة تأثره بالحروب الكارثية التي عاصرها والحرب الباردة التي كانت قد بلغت اوج قوتها او حضارية عالمية واحدة تنهض بها الديانات الاربعة المتبقية (٣١)، وطبعاً كما قرر مسبقاً يأخذ من كل دين من هذه الاديان ما ينسجم وقيم الحضارة الغربية التي يجد في دينها "النصرانية" كل المثل العليا فتنشأ "الحضارة الجامعة" Universal Civilization وهي في الحقيقة تقليد للحضارة الغربية ودعوة إلى اتباع نهج يتضح فيه غرضه الترويج للقيم الغربية في العالم تحت دعاوي التسامح ونبالة الروح، وهكذا

نلاحظ في فلسفة توينبي للتاريخ تكرارها لفكرتين اساسيتين هما ابراز اهمية تعاليمه الدينية النصرانية والامر الثاني مدحه المتكرر للفكر اليوناني الذي تنتمي الحضارة الغربية اليه برابطة البنوة مما يفسح المجال للاعتقاد بتركيزه على الترويج لخصوصية الحضارة الغربية وجعلها معيار التقدم والرقي في العالم، من أجل ذلك نلاحظ أن توينبي يدعو النصارى إلى " التبشير بدينهم" على قاعدة التسامح الحقيقي وليس على اساس التعالي الاوربي^(٣٢).

المبحث الثاني

آراء توينبي في خدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية

لاحظنا في الصفحات السابقة كيف وظّف توينبي نفسه وفلسفته للتاريخ في خدمة سياسة بلاده والحضارة التي ينتمي اليها وكانت آرائه تصب في مصلحة البحث عن علاج ناجح ينقذ بها حضارته من الافول والزوال منطلقاً في ذلك من موقعه كموظف كبير في الخارجية البريطانية وباحث متعمق في الشؤون الدولية يحاول رسم معالم حضارة عالمية جديدة تكون فيها الحضارة الغربية زعيمة له وبريطانيا سيدة فيه، وسيحاول ما تبقى من هذا البحث رصد بعض الآراء والمواقف التي يطرحها توينبي اثناء تحليلاته لقضايا معاصرة والاثـر الفكري الذي يطرحه في خدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية خصوصاً مسألتـي الغرب والعالم الاسلامي لذلك سوف يتركـز هذا المبحث على تناول موقف توينبي من المؤسسة الاستعمارية البريطانية من زاويتين : موقفه من الحضارة الغربية وموقفه من العالم الاسلامي.

أولاً/ موقفه من الحضارة الغربية:

عندما بدأ ارنولد توينبي حياته العلمية المنظمة عام ١٩٠٨م بدخوله كلية باليول وهي من ابرز كليات جامعة اكسفورد كانت الدراسات التاريخية تمر في ذلك الوقت بمرحلة من الازدهار والتطور بفضل مؤرخين بريطانيين لعبوا دوراً مهماً في تنشيط الدراسات التاريخية في بريطانيا وتوجيهها. ومع ان جامعة اكسفورد كان فيها واحدة من المراكز القليلة لدراسة التاريخ الاسلامي في بريطانيا؛ الا ان الاهتمام الاكبر في أكسفورد انصب آنذاك على دراسة الحضارة الاغريقية القديمة وتقدير مثلها العليا في الديمقراطية Democracy ضد النزعة الفردية Individualism. وكانت كلية باليول وقتها تعد من اكبر مراكز الدراسات والبحوث المتعلقة بالحضارة الاغريقية ، ونتيجة لهذا الجو فقد تأثر توينبي كثيراً وكرّس وقتاً طويلاً لسبر اغوار هذه الحضارة وكان من نتائج اهتمامه بالدراسات الكلاسيكية انه اختير لكتابة فصل من كتاب حمل عنوان: تراث اليونان وذلك في أواخر العشرينات كما اصدر دراسات مهمة ورصينة حول الموضوعات نفسها أبرزها: الحضارة الهلنستية" و "التفكير التاريخي عند الاغريق"^(٣٣).

افرد ارنولد توينبي مكانة بارزة للحضارة الاغريقية وتأثر كثيراً بالفكر الهيليني إلى درجة انه وجد فيها أصلاً للحضارة الغربية الحديثة وانها أثرت على العالم القديم بشكل عام كما تؤثر الحضارة الغربية على العالم اليوم وبالتالي يؤمن بأن الحضارة الاغريقية القديمة هي السلف الحقيقي للحضارة الاوربية الحديثة ليجد فيها تجسداً لفلسفته حول عدم موت الحضارة وانما اختفائها لفترة ثم تعود للظهور من جديد (٣٤).

لقد عاش توينبي حياته العلمية في وقت كانت الدراسات التاريخية في اوربا تسودها بعض الافكار المتعلقة بإيمان الاوربيين بعظمة الحضارة الاوربية وكونها المحور المركزي لحركة التاريخ فضلاً عن انتشار الفكرة القومية - الرومانتيكية التي وصلت عند البعض إلى حد العنصرية وما يتعلق بها من مسألة التفوق الاوربي على القوميات الاخرى وتبرير استعمارها للعالم (٣٥).

ولاشك ان توينبي تأثر بذلك ولكن لم يصل إلى حد المبالغة في العنصرية الاوربية فهو اكتشف ان بلاده نفسها كانت اثناء الحربين العالميتين في مواجهة مع زعيمة العنصرية الاوربية الممثل في ذلك الوقت بالمانيا النازية لذلك لا يأل جهداً في نقد الفكر العنصري النازي (٣٦)، وضمن هذا التوجه يمكن ان نفسر آراء توينبي تجاه اليهود بوصفهم عنصريين يحذون حذو النازيين في مواقفهم الاستعلائية تجاه شعوب ودول العالم لذلك يصور توينبي اليهودية بانها طبعة ثانية من الدول الغربية العنصرية الحديثة (٣٧). أما موقفه من قيم الحضارة الغربية في الديمقراطية والفردية فنراه مدافعاً عنها بل ومبشراً بها ومبرراً لاساليبها فهو يبرر سيطرة الولايات المتحدة على دول امريكا اللاتينية ويعد تدخلها بمثابة الخدمة الجليلة لانها على حد زعمه تحاول حمايتها من العدو السوفياتي (٣٨)، كذلك كانت عواطفه كلها عام ١٩١٢م مع شعوب اليونان وبلغاريا والصرب والجبل الاسود في حروبها ضد الدولة العثمانية للتخلص من حكمها، لانه أدرك أن فكرة القومية تفكك مفهوم الامة الاسلامية التي كانت تقودها الدولة العثمانية (٣٩).

وفي معرض دفاعه عن قيم الحياة الغربية الليبرالية ينتقد توينبي بشدة الاتجاهات القومية التي ظهرت في اوربا خصوصاً خلال مدة ما بين الحربين، ويجد الانظمة السياسية التي تبنت النهج القومي انظمة طغيانية ليست جذيرة بالحضارة الغربية لذلك نلحظ دعوته إلى العالم الاسلامي بضرورة التخلي عن الافكار القومية التي ازدهرت في خمسينيات القرن العشرين ويدعو إلى نبذها في سبيل تبني الانظمة والافكار الليبرالية (٤٠)، وضمن هذا الاطار يمكن فهم منظور توينبي الفلسفي للتاريخ حيث وضعه ضمن اطار المدرسة الانكليزية المحافظة التي تتحو منحاً مثالياً مسرفاً وتقيم وزناً كبيراً للفرد البطل (٤١).

ويبدو ان الفكر القومي، الذي كان مزدهراً في العالم العربي الاسلامي في ذلك الوقت، كان يمتلك افكاراً تحريرية خصوصاً دعوته إلى الاستقلال والكفاح المسلح لطرد الاستعمار وطبيعي ان لايجد توينبي في ذلك الفكر مجالاً لتأييده طالما انه يتعارض مع توجهات المؤسسة الاستعمارية البريطانية.

من جهة اخرى كال توينبي المديح والثناء إلى حضارته ليس على صعيد المنجز العلمي والتقني فحسب؛ بل على المستوى الاخلاقي وهذا اخطر ما طرحه توينبي في معرض تبريره للجرائم التي ارتكبتها الاستعمار الاوربي بحق الشعوب الراححة تحت حكمهم حيث يشيد بالنزعة العملية (البراغماتية)^(٤٢) في الغرب ويعدها من مزاياهم ويدعو إلى ان يحذو العالم حذو الغرب في هذه النزعة فيطلب من العالم ان يكونوا عمليين مثل الغرب، وان ينبذوا التعصب الذي يجده في الاديان والافكار الشيوعية والقومية ويدعو إلى اتباع اسلوب المهاتما غاندي^(٤٣) في اللاعنف عند التعامل مع المؤسسة الاستعمارية الغربية^(٤٤).

ثانياً / موقفه من العالم الإسلامي:

ترجع معرفة ارنولد توينبي بالعالم الاسلامي منذ وقت مبكر عندما زار اليونان وإهتم بدراسة تاريخ الدولة العثمانية وزاد اتصاله بها في اثناء مشاركته في اعداد مؤتمر فرساي في فرنسا عام ١٩١٩م بوصفه أحد الخبراء الفنيين ، وقد اهتم بتكوينهم الحضاري وكان من ثمارها دراسة بعنوان: المسألة الغربية في اليونان وتركيا The western issue in The Greek and Turkey تعرض فيها إلى احوال الشرق الاوسط والبلاد العربية ونشرها في الجزء الاول من سلسلة دراسات عن الشؤون الدولية^(٤٥). ومن ذلك التاريخ اخذت مواقف توينبي من القضايا العربية تتبلور تبعاً مترافقة مع التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان تمر بها المنطقة ، وكما ذكرنا سلفاً فاننا لن نتوقف كثيراً عند ايجابيات موقفه من بعض القضايا العربية والاسلامية ولكننا سنرصد تلك المواقف التي نجد لها ثمة صلة بالمؤسسة الاستعمارية ودعم لتوجهاتها .

لقد كان يدرك اهمية الحضارة العربية الاسلامية ودورها في مسيرة التاريخ لذلك افرد لها فصلاً طويلاً شارحاً مكانتها ومحللاً ومناقشاً اهميتها ، ولعل ذلك نابع من الصلة الوثيقة التي تربط هذه الحضارة مع الغرب رغم انه خصص لدراسته (اعني كتاب دراسة في التاريخ) فصلاً لبقية الحضارات الا انه خصص اجزاء مهمة لشرح الحضارة العربية الإسلامية فقد خصص الاجزاء السابع والثامن والتاسع والثاني عشر للحديث عن الحضارة العربية الإسلامية^(٤٦) ولعل هذا الاهتمام لا يمكن أن يأتي من فراغ لولا الاهمية والمكانة التي يتمتع بها العالم الاسلامي في العصر الذي كتب فيه توينبي هذا الكتاب.

إن ابرز مسالتين ينبغي ملاحظتهما في موقف توينبي من قضايا العالم الاسلامي هي مسألة التغريب Westernization ووحدة العالم الاسلامي اللتان سنبين كيف تصبان في مصلحة المؤسسة الاستعمارية البريطانية على الرغم من انه لا يؤيد كثيراً من مواقف هذه المؤسسة.

مسألة التغريب

يعتقد توينبي أن الحضارات الباقية على قيد الحياة هي عشرة حضارات اثنان في دور النزاع الاخير وسبعاً تتهددها الحضارة الغربية بخطر الابداء والامتصاص وان ستأمن هذه الحضارات قد شرعت تسقط وتحدّر نحو الزوال ولم يبق سوى الحضارتين الاسلامية والغربية، لذلك ، يعتقد ان الحضارة الباقية التي تشكل تحدي للحضارة الغربية هي الاسلام^(٤٧).

ويرجع إلى التاريخ لتأصيل طبيعة العلاقة التي ربطت الحضارة الغربية بالاسلام ويزعم ان الاعتداءات الاسلامية على اوربا الهبت الطاقات المتفجرة في نصرانية الغرب الكاثوليكية وعبرت عن نفسها بالحروب الصليبية^(٤٨)، اذا فطبيعة العلاقة التي حاول ان يرسمها توينبي بين الحضارة الغربية والاسلام تقوم بالاساس على فكرة الصراع وان كلتا الحضارتين عاشتا في تنافس وصراع طويلة حقب التاريخ المختلفة وان العالم الحديث يشهد استمراراً لهذا الصراع الذي يبدو فيه الغرب هو المتفوق والدليل على ذلك قيام الحضارة الاسلامية باستخدام ادوات غربية والدخول في عملية تغريب لتطوير حياتها وفقاً للنموذج الغربي ولذلك سنلاحظ دعوات متكررة ومواقف واضحة منه تحاول الترويج لكل ما هو تغريبي في البلاد الاسلامية وسيقدم نماذج وقصص تصب في هذا الاتجاه بوصفها افضل نماذج قدمها العالم الاسلامي الحديث في مواجهة للغرب، لذلك يمكن ان نعه من ابرز الداعين إلى الفكر التغريبي والاخذ بمعطيات الحضارة الغربية وقيمها وعندئذ يتأكد ما ذهبنا اليه من كونه يخدم المؤسسة الاستعمارية عبر الترويج إلى افكارها وتوجهاتها.

ففي إحدى محاضراته التي القيت في القاهرة يؤكد على ان تقدم الامم الحديث انما يرجع بفضل اقتباسها للتقنية الغربية ويضرب مثلاً على ذلك في روسيا التي اعتنقت الفكر الشيوعي قبل ان تعتنق التقنية الغربية ومكنتها هذه العقيدة الغربية من نقلها من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم وبذلك يحاول ان ينسب الفضل في تقدم الاتحاد السوفيتي إلى اقتباسها الفكر الغربي واقتباسها التقنيات الغربية ، وليس غريباً ان يقدم توينبي هذا المثال في مثل ذلك الوقت في اربعينيات وخمسينات وستينات القرن العشرين حيث كانت روسيا السوفيتية في اوج قوتها خاصة وان بعض الاقطار العربية ومن ضمنها مصر التي كان يلقي فيها محاضراته كانت

على علاقة مهمة مع الاتحاد السوفيتي لذلك حاول ان يوضح بان أي تقدم في العالم انما مرجعه الاقتباس من الحضارة الغربية لذلك يدعو وان كان بشكل مبطن الاخذ بالقيم الغربية بدلاً من القيم السوفياتية. وفي المحاضرة نفسها يرى الامر نفسه في البلاد الاسلامية ابان عهد الدولة العثمانية التي يرى انها انهارت بسبب اقتباسها لمعطيات الحضارة الغربية بصورة ناقصة لانه باعتقاده يرى ان الاقتباس يجب ان يكون كلياً وشاملاً وليس جزئياً ، فالدولة العثمانية اقتبست التقنية العسكرية فقط ولم تقتبس روح وفكر الحياة الغربية فكان ذلك سبب فشلها وتبعاً لذلك يدعو توينبي إلى ان المقتبس من الحياة الغربية يجب ان يقتبس فكرها وروحها إلى جانب تقنياتها ليتمكن من النهوض والا فان محاولته ستكون فاشلة وبأئسة (٤٩). إن توينبي لم يجد في محاولة الدولة العثمانية ادخال الاساليب الغربية على جهازها العسكري حلاً ناجحاً ، بل وجده محاولة فاشلة وان الدولة العثمانية بوصفها زعيمة العالم الاسلامي انذاك واجهت طريقين لا ثالث لهما : إما ان يدفعوا ثمن غلطتهم في اخذ الحد الأدنى من جرعات الحضارة الغربية فينتهون إلى الخضوع والتبعية واما ان ينقذوا انفسهم من الفناء بعملية تغريب شاملة يندفعون نحوها بقلوبهم وعقولهم وانفسهم وكل طاقاتهم قبل فوات الاوان (٥٠)، مما يوضح البعد الاستعماري الواضح الذي جسده هذا الرأي، عبر الترويج للقيم الغربية والدعوة إلى اعتناق الافكار قبل التقنيات.

فارنولد توينبي لم يكتف بدعوته إلى تغريب الحضارة الاسلامية من الناحية الشكلية والتقنية بل دعا إلى تمثّل كامل للفكر والمثّل الغربية لذا لا نستغرب كثيراً عندما يصب جام غضبه على حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) حينما يصفه بالشخص الرجعي المتطرف ، لان السلطان عبدالحميد الثاني رفض بيع فلسطين لليهود مقابل خمس ملايين ليرة ذهبية بضغط من الجمعية الماسونية، في حين يصف سلفه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧م) بسبب الحظ بسبب الجرعة الصغيرة التي أخذها عن الغرب في الوقت المتأخر وهو السبب الذي برايه فشلت محاولته الاصلاحية بسبب الجرعة الصغيرة التي اتبعها ولكنه يشيد بتجربة مصطفى كمال أتاتورك (١٩٢٣ - ١٩٣٨م) ويصفه بالنباهة وقوة الشخصية وكل ذلك بسبب قيامه بعملية تغريب شاملة للحياة في تركيا وتحويلها كلياً إلى نمط الحياة الغربية (٥١). ووصل الامر بتوينبي إلى تبرير تدابير وسياسات اتاتورك في فرض التغريب على المجتمع التركي ويرى ان التحول في تركيا لم يكن مقدراً له ان ينجز لوكانت الطريقة التي نفذها اتاتورك بحق المجتمع التركي اقل دكتاتورية (٥٢) فتصبح عملية التغريب الكامل للمجتمع الاسلامي عند توينبي هي الحياة وما عداها التأخر والانحطاط.

كما ان عملية التغريب على النمط التوينبي لايعني تمثّل معطيات الحضارة الغربية ذات التوجهات غير الليبرالية والراسمالية كالمسيحية والقومية بل يقصد ان يتمثّل العالم الاسلامي

قيم الحضارة الغربية على الطراز الليبرالي البريطاني، لذلك نلاحظ انه يقرر في مقدمة كتابه عن القارة الافريقية ، التي كانت تشهد في ستينيات القرن العشرين تطورات سريعة، أن اعمق ما تحتاج اليه افريقيا والعالم معها هو تغيير جذري في المفاهيم. فالنزعة الفردية عند توينبي هي شيء طيب لأنه يعتقد ان كل بادرة ابداع بشري انما كان نتيجة لمجهود فردي وان كل جهد خلاق يمكن ان يرد إلى الفردية التي هي : " رأس المال الوحيد الذي يملكه الانسان" (٣٠).

-الوحدة الاسلامية:

لكونه معاصراً لأحداث مهمة من تاريخ العالم الحديث فهو يقدم رؤية بصورة تمزج بين شخصيته كمراقب للاحداث وفلسفته التي يرى فيها أن العالم في فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى تنقسم إلى خطين الاول تصاعدي إذا تأملناه من وجهة نظر الشعوب النامية التي كانت مستعمرة في بداية هذه المدة ثم نالت استقلالها في نهايتها وتنازلي من وجهة نظر السيطرة الغربية على العالم. لذلك فهو يقدم رؤيتين لقضية الوحدة الاسلامية، التي حظيت ولا تزال تحظى باهتمام العالمين العربي والاسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م وتجزء الدولة العثمانية إلى دويلات صغيرة متناثرة ومفككة، ويضعهما في خدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية . الرؤية الاولى يمكن ان نصفها بالاجابية وفيها يحاول ان يبرز بعض السمات التي يتميز بها الاسلام وامكانية ان تستفيد المؤسسة الاستعمارية البريطانية منها خصوصاً في المستعمرات التي يعتنق سكانها الدين الاسلامي ورؤية سلبية تكمن في التحريض على "الخطر " الذي يشكله الاسلام للحضارة الغربية بعد ان حرك الغرب كوامن القوة في المجتمع الاسلامي وبالتالي ينبغي مواجهة هذا التحدي وكسبه.

ففي البداية يقسم توينبي القوى الفاعلة في المجتمع الاسلامي إلى قسمين يسميهم هو (مقلدين ومتحمسين) (٣١) وهو بذلك يحاول ان ينقل معركة التغريب في المجتمعات الاسلامية من تأثير الغرب والمؤسسة الاستعمارية إلى الاسلام نفسه على أساس ان لا علاقة للغرب بالموضوع انما هم من يريدون ادخال القيم الغربية في مجتمعاتهم. فالمقلدون هم المتكيفون مع القيم الغربية ويسعون إلى تقليده لذلك يحث توينبي المراقب الغربي مراعاة اللياقة مع المقلد فلا يسخر منه لانه يحاول تغيير وطنه ومواطنيه إلى حالة يقول توينبي كنا نحن الغربيين نسعى إلى اقامتها لهم أي ان نجعل منهم صورة لدولة غربية وشعب غربي وكل هذا بفضل ماقمنا به وما احدثناه من ردود فعل بين المقلدين والمتحمسين (٣٢).

أما المتحمسون فهم على العكس من ذلك يتهمهم توينبي بالتعصب والتهرب من الشيء وقلة التفكير وأن كل همهم الحفاظ على الشريعة الاسلامية وتطبيقها في كل نواحي الحياة ، ثم يتهم المسلمين بأنهم كالنعامة التي تحاول وأد رأسها في التراب لتختبئ من ملاحقيها، ويرى

ان الغرب استطاع ان يحرّض المقلدين من أبناء الحضارة الإسلامية على القيام بردود افعال تجاه المتحمسين دفعتهم إلى التصادم مع بعض عدة مرات في التاريخ الحديث من ذلك استعمال محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٩م) جيشه المتغرب لأول مرة ضد ابناء الحركة السلفية (الوهابية) في الجزيرة العربية لاختام حماسهم^(٦).

تعكس طبيعة صلة ارنولد توينبي بالمؤسسة الاستعمارية البريطانية من خلال ما يقدمه من آراء وافكار تصب في مصلحة هذا التوجه وضمن سياق رؤيته لأثر المؤسسة الاستعمارية في تقسيم المجتمع الاسلامي إلى مقلدين ومتحمسين وفقاً لمنظور توينبي، القائم على مبدأ التحدي والاستجابة، فانه يرى ان حالة الصراع التي نشأت بين المقلدين والمتحمسين تصل إلى اقصى درجات الصراع حيث يواجه المتحمسون عناءً شديداً ويعاملهم المقلدون معاملة قاسية يقول توينبي انه حتى الغربيين لا يتجاسرون على القيام بها ، فالاسلوب المرعب في تعامل المقلدين يتجاوز بكثير اسلوب اسيادهم الغربيين ومن امثلة ذلك التعامل يورد توينبي الاسلوب الذي اتبعه مصطفى كمال اتاتورك في قمعه للثورة الكردية عام ١٩٢٥م والاسلوب البريطاني "الاكثر انسانية" - على حد زعمه - في اثناء تعامله مع المعارضين الاكراد في شمال العراق^(٧). يحاول توينبي ان يظهر ساحة المؤسسة الاستعمارية الغربية امام قساوة المقلدين في تعاملهم مع أبناء المجتمع الاسلامي ليبين ان الاستعمار الغربي يقدم نماذج حضارية افضل بكثير من النماذج التي يفرزها المجتمع ناسياً في الوقت نفسه ان نماذج المقلدين ارتبطت في احيان كثيرة بعلاقات وثيقة مع المؤسسة الاستعمارية وأسهمت في تنفيذ مشاريعها وخطتها في المنطقة.

اما بخصوص الجانب الايجابي الذي يعتقد توينبي انه يمكن للمؤسسة الاستعمارية البريطانية الافادة منه لخدمه سياستها في مناطق نفوذها خصوصاً في المناطق ذات الاكثريّة الاسلامية حيث يجد ان بعض مبادئ الاسلام تتميز بنتائج حسنة ومفيدة للمستقبل منها الغاء الاسلام لمسألة التمييز العنصري إذ يرى ان الاسلام عندما جاء الغى مسألة التمييز العنصري وساوى بين الناس فيجد في ذلك فضيلة مهمة يفتقدها حكام المستعمرات البريطانيين الذين يعزلون انفسهم عن ابناء البلاد الاصليين بسبب تمييزهم العنصري لذلك يحاول ان يجعل من مسألة تسامح الاسلام وموقفه من مسألة التمييز العنصري مدخلاً لخدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية^(٨).

وفيما يخص الجانب السلبي الذي يرى فيه خطراً ليس على المؤسسة الاستعمارية الغربية فقط بل على الحضارة الغربية ككل فيجد توينبي في الاسلام امكانيات مدمرة تكمن في توجهاته الوحديّة (Pan- Islamism) التي تمثل مصدر رعب للمؤسسة الاستعمارية الغربية منذ ان رفع لواءها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) وبالتالي

يخشى توينبي ان تفقد المؤسسة الاستعمارية البريطانية سيطرتها على عقول المسلمين وبالذات المقلدين ولكنه يرى ان تحقيقها بات صعباً بسبب التجزئة وبسبب ما قام به الاترك من تصميم على رفض واستنكار مشروع الجامعة الاسلامية والغاء الخلافة في عام ١٩٢٤م، والتي عدت واحدة من اهم رموز الجامعة الاسلامية - التي لم تنفع مؤتمر الخلافة المعقود عام ١٩٢٦م^(٥٩) لبحث امكانية احياءها - من ان تعيد الحياة اليها، ليقنع بموت مشروع الوحدة الاسلامية وسباته العميق ، ولكن توينبي يستدرك بان هذه الوحدة نائمة لذلك يجب ان تضع المؤسسة الاستعمارية البريطانية في حساباتها ان النائم قد يستيقظ وان الاسلام قد يوقض الروح الجهادية لدى المسلمين ليحرروا مناطقهم ويعيدوا مكانتهم في التاريخ مجدداً كما فعلها نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الايوبي والمماليك^(٦٠) في طردهم للصليبيين والمغول، لذلك يرى توينبي ان الوضع الدولي الحالي يسمح للاسلام ان يتحرك ليلعب هذا الدور مرة اخرى^(٦١).

الخاتمة

تبين من خلال البحث أهمية المؤرخ ارنولد توينبي ودوره في خدمة المؤسسة الاستعمارية البريطانية عبر الترويج للقيم والافكار الغربية الأوروبية على الرغم من التباين الظاهر في مواقفه من بعض سياساتها تجاه شعوب العالم الثالث بشكل عام والعالم الاسلامي بشكل خاص. وقد لاحظ البحث كيف أثرت هذه الصلة على نتائج الابحاث والدراسات التي قدمها توينبي لاسيما فيما يخص المجتمع الاسلامي وخصوصاً قضيتي التغريب ووحدة العالم الاسلامي.

وجد توينبي أن التحدي الاخطر الذي قد تواجهه الحضارة الغربية يكمن في الاسلام لذا ركز جهده في العمل على إقناع العالم الاسلامي بتبني فكرة التحديث على وفق النمط الغربي بوصفه الخطوة نحو تبني قيم الحضارة الغربية ، ولما وجد ان الخطر الذي يشكله العالم الاسلامي يكمن في احتمالية ان تنشأ في المستقبل وحدة له، حذر الغرب من ذلك ونبه الى ضرورة دعم القوى المتغربة - من الغرب - في هذا العالم لمساعدتها في القضاء على هذا المشروع.

ويعتقد توينبي اخيراً ان مشروع وحدة العالم الاسلامي يراه نائماً في الوقت الحاضر لكنه يعتقد ان هذا النائم لابد ان يأتي اليوم الذي سيستيقظ فيه من غفوته وعندما يستيقظ سوف يوقظ الروح الجهادية لدى اتباعه ليحرروا بلادهم ويعيدوا مكانتهم في التاريخ مجدداً كما فعلها قادتهم في السابق.

الهوامش

(^١) يكتب توينبي عن الطبقة الوسطى في بريطانيا في ذلك الوقت بوصفها الطبقة المسيطرة على أوروبا ، فالغرب مسيطر على العالم كله ، وأوروبا مسيطرة على الغرب ، والطبقة الوسطى مسيطرة على أوروبا. أرنولد توينبي: استعراض لتاريخ العالم في نصف القرن الأخير، محاضرات أرنولد توينبي، نص المحاضرات التي القاها خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة في ابريل ١٩٦٤، ترجمة وتقديم فؤاد زكريا (المحاضرة الأولى) ص ٢٠.

(^٢) تجدر الإشارة إلى أن والدته تولت رعايته بعدما لم تتحمل العائلة تكاليف المربية ، فكانت والدته تسكب في نفس توينبي حب التاريخ وهو في سن لا يتجاوز الخمس سنوات فيروي توينبي عنها فيقول: " .. كانت تحكي لي أثناء الليل تاريخ انكلترا على حلقات كل ليلة حلقة جديدة.. لقد أحببت التاريخ الذي أرضعته لي أمي.. كانت هي وحدها التي ألهمتي ". منير نصيف: " أرنولد توينبي ، الإنسان الفيلسوف ، مؤرخ عملاق .. علم أجيالا وقضى حياته كلها يتعلم! " مجلة العربي، الكويت، العدد (٢٠٨)، السنة ١٩٧٦، ص ١٣٤. صدقي خطاب : " أرنولد توينبي " مجلة عالم الفكر، القاهرة، المجلد الخامس ، ١٩٧٤، ص ٢٩٢.

(^٣) International Encyclopedia of the Social Sciences, vol.15, p.114.

(^٤) فرقة من النصرانية احتجت على الكنيسة الكاثوليكية الغربية بإسم الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية، إذ يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب المقدس وخلاص أنفسهم وتسمى بالإنجيلية أيضاً إذ يتبعون الإنجيل دون سواء ويعتقدون أن لكل فرد الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه، وبدأت في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة عليها ومن أبرز مؤسسيها مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦م) وهودريخ زوينجلي (١٤٨٤- ١٥٣١م) وجون كالفن (١٥٠٩- ١٥٦٤م). للتفاصيل ينظر: الموسوعة الميسرة: المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٦١٥- ٦٣١؛ سليمان ظاهر: قصة الديانات (بيروت -القاهرة، ١٩٨٤) ص ٤١٧- ٤٢٦.

(^٥) جواد علي: "افكار وذكريات" جريدة الجمهورية ملحق بمناسبة مهرجان تكريم توينبي" لسنة ١٩٧٧، بغداد، ص ٦. وقد مدحه المؤرخ العراقي جواد علي ووصفه بالتواضع فقد كان يتردد اليه كثيراً ويزوره في بيته فكان يقول " .. انطباعي العام عنه انه كان متواضع جداً ، وكنت حين ازوره ياتيني بالشاي وغيره بنفسه ولا يترك هذا الامر إلى خادمتي ؛ لقد كان متواضعاً إلى ابعد الحدود .." للتفاصيل ينظر ، المصدر نفسه، ص ٦.

(^٦) لعل ابرز من تناول افكار ارنولد توينبي بالتحليل والدراسة الباحث ادوارد كاركان EDWARD T. GARGAN الذي حرر سلسلة دراسات جمع فيها أبرز من نقد توينبي عام ١٩٦١م بعنوان (مقاصد تاريخ توينبي) (The Intents of Toynbee's history(Chicago, 1961) . أما عربياً فقد رعى اتحاد المؤرخين بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام العراقية عام

(¹¹) عقد مؤتمر الصلح في فرساي في فرنسا لمناقشة نتائج الحرب العالمية الاولى التي جرت بين الحلفاء فرنسا وبريطانيا وروسيا والولايات المتحدة (وبين دول الوسط (الامبراطوريتين الالمانية والنمساوية والدولة العثمانية وبلغاريا) وانتهت بانتصار الحلفاء وقد ناقش المؤتمر قضية العقوبات والتعويضات على دول الوسط ومسألة انشاء منظمة دولية للنظر في شؤون السلم والامن الدوليين. للتفاصيل ينظر: آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، ج٢ (بغداد، ١٩٩٢) ص ٣٦٨-٣٦٩.

(¹²) R. Soffer: "Arnold Toynbee" The Encyclopedia of world Biography (The Magraw-Hill, N.D) Vol.10, p.469.

(¹³) Soffer: Op.Cit, Vol.10, p.496.

(¹⁴) يقول توينبي عن دوره في مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس بانه كان يجلس في الصفوف الخلفية ويتصفح الاوراق التي قد تنفع المندوبين البريطانيين ويقول ان فرصته للمراقبة كانت جيدة خصوصاً وانه كان مراقباً جيداً للممثل السوفيتي (الاتحاد السوفيتي سابقاً) باعتباره اكثر خصوم بريطانيا قوة.

Toynbee: Experiences (London-1969) p.52.

(¹⁵) هاشم يحيى الملاح وآخرون: دراسات في فلسفة التاريخ (جامعة الموصل -١٩٨٩) ص ٢١١؛ محاضرات ارنولد توينبي: مقدمة المترجم، ص ٤.

(¹⁶) ماجد صالح: " ارنولد توينبي لوحة حياة" ملحق جريدة الجمهورية، السنة ١٩٧٧، ص ٢.

(¹⁷) صراع تمتع خلاله الأطراف المتنازعة عن اللجوء الى السلاح الواحدة ضد الأخرى، استخدم عام ١٩٤٧م من قبل الاقتصادي الأميركي برنارد باروش B. Baruch، ويفهم منه بصورة عامة حالة التوتر بين الدول الغربية والكتلة الشرقية، التي حدثت بعد عام ١٩٤٥م، ومن وسائلها لجوء الخصوم إلى تضخيم مساوئ بعضهم البعض باستخدام وسائل الدعاية والتخريب وخلق مشاكل محلية أو إقليمية مع التحسب بعدم التورط في عمليات حربية مباشرة . للتفاصيل: عبد الوهاب الكيالي (محرر)، موسوعة السياسة، ج ٢، (بيروت، ٢٠٠١) ص ١٨٥-١٨٧.

(¹⁸) ترجم الكتاب إلى العربي عام ١٩٦١م عن ادارة الثقافة العامة - ضمن مشروع الألف كتاب وترجمه الاستاذ لمعي المطيعي . ينظر : لمعي المطيعي : ارنولد توينبي ، عرض ودراسة (القاهرة، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧) ص ٥-٦.

(¹⁹) ارنولد توينبي: الحضارة في الميزان ، ترجمة امين محمود الشريف (الادارة العامة للثقافة ، القاهرة، د.ت) ص ١٣-١٥.

(²⁰) Soffer: Op, Cit, p.496.

تجدر الإشارة ان صحيفة الاوبزرفر عندما نعت وفاة المؤرخ ارنولد توينبي اشارت إلى تحذير كان قد قدمه توينبي إلى القراء ، وكان ذلك قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م ، يبين فيه ان ميزان القوى في منطقة الشرق الاوسط سوف يميل لصالح دول الشرق الاوسط والدول الاسيوية ، ولم تكد تنقضي عدة اشهر على نشر هذه المقالة حتى بدا العالم يشعر بما توقعه. نصيف: المصدر السابق ، ص ١٣٦.

(²¹) ارنولد توينبي: مختصر ، ج ٤، ص ٩.

(²²) توينبي: الحضارة في الميزان، ص ١٦.

(^{٢٣}) يضرب توينبي مثلاً على هذه النظرية باستلهم تاريخ بلاده فيقول: "ان بريطانيا كانت تعاني من عزلة عن اوربا خلال المدة ما بين القرن الخامس عشر والثامن عشر استطاعت خلال المدة ان ترسي دعائم الديمقراطية البرلمانية والمجتمع الصناعي الحديث". منح خوري: التاريخ الحضاري عند توينبي (بيروت، ١٩٦٠) ص ٣٦؛ الملاح وآخرون: المصدر السابق، ص ٢١٧؛ المطيعي: المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(²⁴) Huseyin Yurdaydin: " Prof. Dr. A.J. Toynbee: Turkey and Turkish Historians" This research taken of researches group published by the Union of Arab Historians (Baghdad – 1979) p. 29-30.

خوري: المصدر السابق، ص ٣٥؛ محمود اسماعيل: " البطل التاريخي بين كارلايل وتوينبي " بحث مسئل من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٩) ص ٢٨-٢٩.

(^{٢٥}) خوري: المصدر السابق، ص ٥؛ عبد الرحمن بدوي: أشبجلر (بيروت - الكويت، ١٩٨٢) ص ٩-١٦.

(^{٢٦}) مقتبس عن المطيعي : المصدر السابق، ص ١٩.

(^{٢٧}) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(^{٢٨}) للتفاصيل ينظر : المصدر نفسه، ص ١٥٦؛ طه باقر: "هذا بعض ما تميز به توينبي" ملحق جريدة الجمهورية ، السنة ١٩٧٧، ص ٤؛ محي الدين اسماعيل: توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ (بغداد، ١٩٧٧) ص ٥١.

(²⁹)Toynbee: A Study of History(London, Oxford University Press, 1934-1954)Vol.1,p.82.

(^{٣٠}) خوري: المصدر السابق، ص ٤٩.

(^{٣١}) المصدر نفسه، ص ٤٩-٥٣.

(³²) Toynbee: Le christianisme et les autres religions du monde, (Paris, 1959).

مقتبس عن عبد القادر زبادية: "القضايا الافريقية المعاصرة في التراث المكتوب للعلامة توينبي" بحث مسئل من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٩) ص ٥٥.

(^{٣٣}) العلي: المصدر السابق، ص ١٢.

(^{٣٤}) المطيعي: المصدر السابق، ص ٢٢-٣٠.

(^{٣٥}) يقول توينبي ان الثقافة القومية والتاريخ القومي هما قوة اساسية كالديمقراطية وان محاربتها هي بمثابة محاربة الله ذاته لذلك ينبغي ان لاتتازعها اية ثقافة اجنبية على احقيتها بمركز الصدارة. محمود زايد: "سيرة الفكر التاريخي عند توينبي" بحث مسئل من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٩) ص ٦٧-٦٨.

(^{٣٦}) جواد علي: "توينبي" بحث مسئل من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٩) ص ١٧-١٨.

(³⁷) Toynbee: Study of History,op.cite,Vol.8,p.312.

(^{٣٨}) أرنولد توينبي : " لماذا تأخرت وحدة العرب " (المحاضرة الرابعة) القاهرة، ديسمبر ١٩٦١. مقتبس عن المطيعي : المصدر السابق، ص ٧٤.

(^{٣٩}) محمود زايد: المصدر السابق، ص ٦٩.

(^{٤٠}) أرنولد توينبي: الاسلام والغرب والمستقبل ترجمة نبيل صبحي (القاهرة، ١٩٦١) ص ٢٦-٢٩؛ المطيعي: المصدر السابق، ص ١١٨-١١٩.

(^{٤١}) محمود اسماعيل: " المصدر السابق، ص ٢٨.

(^{٤٢}) البراغماتية: مذهب فلسفي اجتماعي يقول بان الحقيقة توجد في جملة التجربة الانسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع وان المعرفة آلة او وظيفة في خدمة مطالب الحياة وان صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس وان الفكر في طبيعته غائي. فالبراغماتية تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري او الاخلاقي او العقائدي. من ابرز شخصياتها تشارلس بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤م) ووليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠م). للتفاصيل ينظر: مانع بن حماد الجهني (مشرف) : الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ، ج٢، دار الندوة العالمية (الرياض، ٢٠٠٣) ص٨٣٢-٨٣٥.

(^{٤٣}) (١٨٦٩ - ١٩٤٨م) فيلسوف ومناضل سياسي هندي اشتهر بلقب (المهاتما) أي النفس السامية درس الحقوق في لندن ١٨٨٨ - ١٨٩١م وعمل مستشاراً قانونياً في جنوب افريقيا ١٨٩٣ - ١٩١٤م دافع عن مواطنيه الهنود عشرين سنة تجاه معاملة الانكليز السيئة عاد عام ١٩١٤ ليقود النضال بالطرق السلمية والمقاومة السلبية وكان يضرب عن الطعام مراراً في سبيل تحقيق مطالبه ساهم في مفاوضات استقلال الهند واغتيل على يد هندوسي متعصب. المنجد في اللغة والأعلام (بيروت، ١٩٨٦) ص٥٠٣.

(^{٤٤}) توينبي: اسلوب الحياة الغربية في الميزان (المحاضرة الثانية) ترجمة فؤاد زكريا ، ص٤٦ - ٤٨.

(^{٤٥}) محمد توفيق حسين: "ارنولد توينبي المدافع عن العرب في الغرب " بحث مسئل من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٩) ص٣٨. طبقاً لما يذكره المؤرخ العراقي صالح احمد العلي فإن توينبي اهتم بالحضارة العربية الاسلامية وكان من نتيجة هذا الاهتمام تعلمه للغة العربية وتوثيق صلته بعدد من العلماء العرب والمستشرقين امثال المؤرخ المصري محمد شفيق غربال والمستشرق البريطاني هاملتون جب. العلي: "توينبي والحضارة العربية" ملحق جريدة الجمهورية ، السنة ١٩٧٧، ص١١.

(^{٤٦}) فؤاد محمد شبل: "حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ" مجلة الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص٤.

(^{٤٧})Toynbee: A Study of History, Vol.4,p.1-2.

(^{٤٨}) توينبي: المختصر، ج١، ص٢٠٧ - ٢٠٨، ج٣، ص٣٩١؛ خوري: المصدر السابق، ص٣٨.

(^{٤٩}) توينبي : الغرب والاسلام والمستقبل ، ص١٥ - ٢٤.

(^{٥٠}) المصدر نفسه، ص٢٤.

(^{٥١}) المصدر نفسه، ص٢٤ - ٢٥؛ المطيعي: المصدر السابق، ص١١٤.

(^{٥٢}) توينبي: الغرب والاسلام والمستقبل، ص٢٦ - ٢٧.

(^{٥٣}) توينبي: اسلوب الحياة الغربية في الميزان (المحاضرة الثانية) ترجمة فؤاد زكريا ، ص٤١؛ عبد القادر زبادية: المصدر السابق، ص٥٤.

(^{٥٤}) يستعمل توينبي عبارة (زيلوتي) Zealous وتعني المتحمس وغلاة الرجعية في اشارة الى المقلدين

وعبارة (هيريودي) Hero او Heretic ويعني البطل او صاحب البدعة في اشارة الى المتحمسين في اقتباس مظاهر الحضارة الغربية . للتفاصيل ينظر؛ خوري: المصدر السابق، ص٧٣ - ٧٥.

(^{٥٥}) توينبي: اسلوب الحياة الغربية في الميزان (المحاضرة الثانية)، ص٥١ - ٥٤.

(^{٥٦}) المصدر نفسه ، ص٤٧، ص٥١ - ٥٤.

(^{٥٧}) المصدر نفسه، ص٥٦.

(^{٥٨}) المصدر نفسه، ص٦٦؛ المطيعي: المصدر السابق، ص١١٧.

(59) بعد قرار إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م بادر بعض علماء المسلمين والمتقنين وعلى رأسهم الشيخ رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان الى النظر في مسألة مصير الخلافة وقد تم اقتراح عقد مؤتمر إسلامي لمناقشة فكرة إعادة احياء الخلافة الإسلامية وانهقد المؤتمر في أيار / مايس عام ١٩٢٦م وخرج المؤتمر بموقف خلاصته تاجيل البت في مسألة احياء الخلافة واقتراح عقد مؤتمرات دورية في مختلف البلدان الإسلامية لتبادل الآراء حتى يتفقوا في أمر الخلافة وقد حاولت مصر والسعودية تأكيد زعامتها على العالم العربي والإسلامي. وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي ابان الثورة الكمالية في تركيا (بيروت، ٢٠٠٠) ص ٢١-٢٣.

(60) قادة عرب مسلمون أدوا دوراً تاريخياً في التاريخ العربي الاسلامي فنور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي (ت ١١٧٤م) كان اتابك حلب وحارب الصليبيين وانتزع منهم الرها وبانياس ١١٦٤م وضم الموصل الى دولته ١١٧١م ودفن في دمشق . اما صلاح الدين الايوبي (١١٣٨-١١٩٣م) مؤسس الدولة الايوبية ولد في تكريت وتوفي في دمشق الغى الدولة الفاطمية في مصر ١١٧١هزم الصليبيين في موقعة حطين الشهيرة ١١٨٧م وحرر بيت المقدس وصالحهم . اما المماليك فهم عبيد اترك وجراكسة ومغول استعان الايوبيون بهم للخدمة العسكرية وتمكن بعض زعمائهم من الوصول الى سدة الحكم واسسوا سلالتين البحرية والبرجية ونجحت دولة المماليك البحرية من الاستيلاء على اخر مواقع الصليبيين في عكا. المنجد، المصدر السابق، ص ٦٨٥.

(٦١) خوري، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.